شرح

الأصول الثلاثة

سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد اللّٰه آل الشيخ

حفظه اللّٰه تعالى

اعتنى به طالب في البناء العلمي

الرقم الأكاديمي ٢١٠٧

النسخة الإلكترونية الأولى

الدرس الثالث

١٩ المحرم ١٤٣٧

أخي طالب العلم إرسالك للأخطاء التي تتخلل التفريغ يسهِّل إخراج نسخة مصححة

attafreegh@gmail.com

اسم المقرر: الأصول الثلاثة   رمز المقرر: ١٠١

الفصل الدراسي الأول

١٤٣٦-١٤٣٧

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قال الشيخ رحمه الله تعالىٰ:

اعْلَمْ - أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ - أَنَّ الحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وخَلَقَهمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[الذَّارِيَات]، وَمَعْنَىٰ ﴿يَعْبُدُونِ﴾: يُوَحِّدُونِ.

وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِه: التَّوْحِيدُ؛ وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالعِبَادةِ.

وَأَعْظَمُ مَا نَهىٰ عَنْهُ: الشِّرْكُ؛ وَهُوَ: دَعْوةُ غَيرِهِ معَهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَولُه تَعَالىٰ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[النِّسَاء:٣٦].

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين، اللّٰهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك علىٰ عبدك ورسولك محمد أشرف الأنبياء وأشرف المرسلين، وعلىٰ آله وعلىٰ صحابته أجمعين، وعلىٰ التَّابعين، وتابعيهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وبعد..

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في الأصول الثلاثة:

(اعْلَمْ - أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ - أَنَّ الحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ).

(اعْلَمْ)، أولا دعا له بالرحمة، ثم الآن قال: (اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ)، دعا له بالرشاد، فإن الله إذا أرشد عبده وهداه السّبيل المستقيم، فلن يضله أحدا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

(أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ)، دعاءٌ للطالب ونصيحة له، وتقريبا له، وتهيئته لقبول الحق، فإن المعلم إذا تعامل مع تلاميذِه بحُسن التعامل، بحسن الأخلاق، صبَر عليهم، وحلم عليهم، ووجّههم التوجيه السليم، ورغبهم في الخير، وكان قُدوة لهم في ذلك، فإن هذا علامة خير وتوفيق.

إذن أن الطالب إذا رأىٰ من أستاذه نفرةً أو غلظة أو قسوة أو تأنيبًا، ونحو ذلك، لم يُصْغ للعلم إصغاءً كاملا، لأن هذه الطباع السيئة تنفره من طلابه؛ بل حتىٰ تنفره من أولاده، فصاحب الغضب والحماقة الزائدة، لا يعيش معه زوجة ولا أولاد ولا غيره، لأنهم يرون فيه الحماقة والسّرعة وقلة المروءة، وعدم الصبر، ولهٰذا قال الشيخ: (أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ)، تلطف ودعاء وتقريب وتهيئة للطلاب، لأن يصغوا لما يقال.

(اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ)، لأن الله إذا أرشدك إلىٰ الطاعة هداك، ومن عليك، وأنار قلبك، فعرفت الحق من الباطل، والباطل من الحق، وقمت بهذه الشريعة خير قيام.

إرشاد الله للطاعة؛ أن يهديك سواء السبيل، وأن يجنبك طريق المغضوب عليهم والضالين، ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[الزمر: ٢٢].

(أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ) عليه السلام، الحنيف: المائل عن الشرك إلىٰ التوحيد قصدا، هٰذا الحنيف، من مال وانحرف عن طريقة المشركين إلىٰ الطريقة المحمدية السليمة التي هي عبادة الله وحده لا شريك له، وإخلاص الدين لله.

(أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ)، قال جل وعلا: ﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ﴾[النحل: ١٢٣]، وقال: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ ﴾﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾[الأنعام]، وقال جل وعلا: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓۖ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: ٤].

هٰذه ملة إبراهيم، وهي البراءة من الشرك والبعد عن الشرك قليله وكثيره، والتمسك بهذه العقيدة السليمة، التي هي ملة الخليل عليه السلام ، قال جل وعلا: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾[الأنعام:٩٠].

وملة إبراهيم عليه السلام توحيد الله، وإخلاص الدين له، وجميع الرسل علىٰ هذا المنوال، لكن الخليل عليه السلام قام بهذا الأمر العظيم خير قيام، قال الله جل وعلا عنه: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ٨٣ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ٨٤ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ٨٥ أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ٨٦ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٧ ﴾ [الصافات].

ولهٰذا قال الله جل وعلا: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢٨ ﴾ [الزخرف].

فملة إبراهيم هي دين الأنبياء كلهم، من نوح عليه السلام إلىٰ محمد ﷺ ، هي دين الله الذي ارتضاه لنا، وأتم به علينا النعمة، ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[المائدة: ٣].

فملة الخليل إبراهيم هي إفراد الله بالعبادة، وأنها حق واجب، والكفر بكل ما عبد من دون الله، من عبد أحدا من دون الله، قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي ﴾ [الزخرف]، فاستثنىٰ من المعبود ربه، ﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧ وَجَعَلَهَا ﴾ أي هٰذه الكلمة، البراءة من الشرك وأهله، وإخلاص الدين لله، ﴿كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ﴾ وهي لا إله إلا الله، التي تقتضي إفراد بالعبادة، والإعراض عما سوىٰ الله.

(اعْلَمْ - أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ - أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ)

وَبِذَلِكَ أُمِرَ جَمِيعُ النَّاسِ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾[البقرة]، هذا أمر عام، ولكل الخلق، لأنه لأجله خلق الله الخلق، ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾[الذَّارِيَات]؛ أي لأجل أن يعبدوني دون ما سواي، ما خلقهم الله ليستعز بهم من ذل، ولا ليستكثر من قلة، ولا ليستغني من فاقة؛ بل خلقهم لعبادته، وعمّت رسالةُ الأنبياء جميعَ الأمم بذلك، ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦].

وأخبر الله عن الرسل جميعهم أنهم قالوا لقومهم: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾[الأنبياء]، إذن فالرسل جميعا دعوا إلىٰ لا إله إلا الله، وإلىٰ إفراد الله بالعبادة، ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٢٣﴾[المؤمنون]، ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٦٥﴾[الأعراف]، ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٣]، وهكذا جميع الرُّسل، بدؤوا الدعوة بلا إله إلا الله، وختموها بذلك، فإنّها أصل الإسلام وأساسه.

قال: (وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾[الذَّارِيَات].

وَمَعْنَىٰ ﴿يَعْبُدُونِ﴾: يُوَحِّدُونِ، وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ).

(وَمَعْنَىٰ ﴿يَعْبُدُونِ﴾: يُوَحِّدُونِ)، فإن العبادة تقتضي توحيد المعبود، فالمسلم عابد لله، موحد العبادة لله، لا يشرك معه غيره، والوثني عابد لله وعابدٌ غيره، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة: ١٦٥]، الآيات.

فالمهم أن العبادة هي التوحيد، اعبدوا وحدوا، يوحدوا الله جل وعلا، بأن تكون العبادة لله وحده، دعاؤكم ورجاؤكم والتجاؤكم وآمالكم وتعلق آمالكم بالله، وأن الرزق بيد الله، والأمر بيد الله، لا راد لما قضىٰ الله وقدر، فإنّ هٰذا هو الواجب علينا جميعا، عبادة الله وحده لا شريك له، فأعظم واجب علىٰ العباد التوحيد، هو أعظم الواجبات، وأساس الملة، من لقي الله به فإنّه يرجىٰ له دخول الجنة، حتىٰ وإن عُذِّب علىٰ ما ارتكب من بعض الذنوب والخطايا.

ومن لقي الله مشركا به، فالنّار مقره ومأواه، ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [المائدة].

فأعظم الواجبات التوحيد، وهو أصل الدين وأساسه، ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦﴾ [الزمر].

قال: (وَأَعْظَمُ مَا نَهَىٰ عَنْه الشِّركُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ) هو دعوة الله ودعوة غيره معه، المشركون لم يتركوا عبادة الله، يعبدون الله؛ لكن يقولون: نعبد هؤلاء الشفعاء ليقرّبونا إلىٰ الله زلفىٰ، وليرفعوا إلىٰ الله حاجاتنا وضروریاتنا، فندعوهم ونذبح لهم، ونستغيث بهم ولو كانوا أمواتا منذ قرون، يقولون: لا، هؤلاء صالحون نصرف لهم حق العبادة ليؤهلونا ويقربونا لربّنا، وكل هٰذا من الضلال، فإن الله جل وعلا أعلم بحال عباده، لا يخفىٰ شيء من أمرهم، وهو جل وعلا الذي خلق الجميع، فأمرنا جميعًا بعبادته، وحذّرنا أن نشرك بالله.

وإذ قال الله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨﴾[النساء]، وفي آية أخرىٰ: ﴿فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦﴾ [النساء].

فأعظم ما نهىٰ الله عنه الشرك، فإنّ النبي بقي في مكة عشر سنين يكرسها للتوحيد، والدعوة والتأصيل في النفوس، والتحذير من الشرك، وفرضت الصلوات الخمس قبل الهجرة بسنوات، ولكنها ركعتين فقط، وإنما أكملت شروطها وأركانها، وأُتِم عددها عندما هاجر إلىٰ المدينة، وباقي شرائع الإسلام من الصوم والزكاة والحج، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأذان إنما شُرع في المدينة، أما مكة [فأكبرها] الدعوة إلىٰ التوحيد، ومناظرة المشركين، ومجادلتهم والرد علىٰ الشبه وتعلق القلوب بغير الله.

قال: (وَالدَّلِيلُ قَولُه تَعَالىٰ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾[النِّسَاء:٣٦])

(وَالدَّلِيلُ قَولُه تَعَالىٰ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾) هذا أمر ﴿وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ هٰذا نهي، لأنكم إن أشركتم مع الله غيره، لم تحققوا العبادة لله، إنما يحقق العبادة لله من أخلص لله دعاءه، ورجاءه، وخوفه وإنابته، وخشيته، وكان ... حبه ورجاءه، هذا الموحد، أما الذي أشرك مع الله غيره، فعبدهم من دون الله، كان ضالا.

سأل النبي ﷺ حصين بن عبد الرَّحمٰن: «كم تعبد؟» قال: أعبد سبعة، ستة في الأرض، وواحد في السماء، قال: « فمن تعد لرغبتك ورهبتك؟ » قال: الذي في السماء، قال: « إن أسلمت لأعلمنك ما ينفعك

الله به»، فلما أسلم أتىٰ النبي، فقال له: «قل اللّٰهمَّ ألهمني رشدي وقني شر نفسي»، فألهم الله حصين بن عبد الرَّحمٰن الخير ووقاه الشر، فعبد الله وحسن إسلامه.

(فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ الَّتي يَجبُ علَىٰ الإنسانِ مَعْرِفَتُها؟

فَقُلْ: مَعْرِفَةُ العَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحمَّدًا ﷺ.)

إِذَا قِيلَ لَكَ: مَا هي الأُصُولُ الثَّلاثَةُ التِي لا ينبغي جهلها؛ بل علىٰ كل مسلم أن يعرفها ويستبينها، فقل ثلاثة:

معرفة العبد لربه، ومعرفته لدينه، ومعرفته لنبيه ﷺ، فمن عرف الله عبده، ومن عرف نبيه محمد اتبعه، ومن علم الإسلام عمل به.

هذه أصول ثلاثة نعيش في الدنيا، ونسأل عنها في القبر، حينما يوضع في لحده ويتخلىٰ عنه أقاربه كلهم، فيأتيه ملكان، فيسألاه من ربك؟ وما دينك؟ وما علمك بهذا الرجل؟ فإن قال: الله ربي، والإسلام ديني، وأعلم أنه رسول الله، آمنتُ به وصدقت .. الحديث.

فالسؤال عن الثلاثة أصول: ربه ودينه ونبيه، هذا أشرف العلم، وأكمل علم، وأتمّ علم، وكل علم لا بد أن يكون علىٰ هٰذا العلم الأساسي، وكل علم يكون منتقىٰ من هذه الأصول الثلاثة، فمن عرف الله وعرف دينه وعرف نبيه ﷺ، عاش بخير ومات علىٰ خير، ولقي الله علىٰ خير.

جعلني الله وإياكم من الطائعين، المستقيمين، المحافظين علىٰ الأصول الثلاثة، الثابتين عليها، العابدين لله وحده، الذين يرجون رحمته ويخافون عقابه.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ محمد.